٩
قصص الصحابة
حمزة بن عبد المطلب (رضى الله عنه)
عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه)
عماد الشافعى
المركز العربى الحديث

حمزةُ بن عبد المطلب

كَانَ حَمزةُ بن عبد المُطَّلب عَمَّ النَّبى وصَديقَهُ أيامَ الطُّفولة والصِّبا، وكان بطَبعه شُجاعاً جَرِيئاً، يُحبُ المُبارزة والفُروسية، ويَهْوى الصَيْد فى الصَّحراء.

وكَانتْ دَعوةُ النَّبى مُحمدٍ إلى الإسلامِ فى بدايتها تَلْقى صُدُوداً واستنكاراً من أشْراف قُريشٍ ورَجالها، وكان النَّبىُ يدعو إلى الإسلامِ سَرّاً ويجتمعُ بأصحابه فى دار الأرقمِ بن أبى الأرْقم. وسَمعَ حَمزةُ عن دَعْوةِ مُحمدٍ إلى الإسلامِ، وكان يُفكر فى هذا الأمرِ الجديد.

خَرجَ حَمزةُ ذاتَ يَومٍ إلى الصَّحراءِ للصَّيد، وراحَ يُطاردُ غَزالةً ويُصوِّبُ سِهامهُ إليها حتى ظَفَر بها، وعَادَ آخر النَّهارِ إلى مكةَ يَحملُ على جَوادهِ صَيْدهُ الثمين.

وعندما اقْتربَ حَمزةُ من الدار نَادتهُ خَادمةُ لابْن جُدْعان وأخبرتهُ أن أبا جَهْلٍ شَتَم مُحمداً ابن أخيه وأسمعهُ ما يكرهُ، فَثَارَ

حَمزةُ وألْقَى صَيَدهُ غَاضِباً، وتَوجَّهَ ناحيةَ الكَعبةِ حَيثُ يَجلسُ أبُو جَهْلٍ هُناكَ كعادته.

وعندما لَمح حَمزةُ أبا جَهلٍ جَالساً بين جَماعةٍ حَوْلَ الكَعبةِ وضَعَ سَهْماً فى قَوْسه ورَماهُ به. فَشَّجهُ حتى سَالَتْ منه الدِّماء وهو يقولُ ثَائراً: أتشتمُ مُحمداً وأنا على دينه، أقولُ ما يَقُولُ، وأشْهدُ أنهُ رسولُ الله، ألا فَرُدَّ علىَّ ذلكَ إن استطعتَ!

دُهشَ الجَالسونَ من ثَوْرة حَمزةَ والدماء تسيلُ من أبى جَهْلٍ، ونَزلَ عليهم خَبرُ إسلامُه كالصَّاعقة، ولم يَستطعْ أحدُ منهم أن يَرُدَّ عليه. فركبَ فَرسَهُ وانطلق كالرِّيح.

وعادَ حمزةُ إلى داره يُفكرُ فى أمْرِ الدَّعوة الجديدة، ويَعتريه شَكٌّ، وبعد أيامٍ من الحَيْرة والقَلق أدركَ أن الإسلامَ حقٌّ، فأسلمَ، وأسلَمتْ زوجتُه (خَوْلةُ بنتُ قَيْس)، وانضمَّ إلى المُسلمين فى دار الأرقمِ، يُصْغى إلى حَديثِ النَّبى ويُصلى ويتعلمُ.

ذاتَ يَوْمٍ كان النبىُّ جَالساً بين أصحابه فى دار الأرقمِ يُعلمهم كتابَ الله والحكمة، وقَرعَ البابَ، فنظرَ أحَدُ الصَّحابةِ من فَتحةِ

البَاب فرأى عُمرَ بن الخطاب مُتوشِّحاً سَيفهُ، فعادَ خائفاً مَذْعُوراً يُخبر النبىَ بالأمر. وهُنا قامَ حمزةُ إليه وهو يقول: لا تَخَفْ.. سأرى ما وجَهتُه، إن كان يُريدُ خيراً فخيراً. وإن كان يُريدُ شَراً قتلناهُ بسيفه.

وإذا بعمر بن الخطاب يدخلُ على النَّبى ساكناً خَاشعاً ليْعلنَ بين يدى النَّبى إسلامهُ. وتدُوِّى فى الدار صَيحةُ: الله أكبر ويفرحُ النبىُ لإسلام عُمر ويفرحُ المسلمونَ.

***

أعزَّ اللهُ الإسلامَ بحمزة وعُمر، ودَخلَ فى الإسلامِ كثيرٌ من النَّاس، وهَاجَر المُسلمون إلى المدينة، وفى العام الثانى من الهجرة يُرسلُ النبىُّ سَريةً إلى أرْض جُهينَة على شَاطئ البحْر ويَقُودها حَمزةُ بن عبد المُطلب جهاداً فى سبيل الله.

ووقعتْ غزوةُ بَدْر بين المُسلمين والمُشركين، ودار قتالٌ عنيفٌ بين المُقاتلينَ، وكان حمزةُ يَصُولُ فى المعركة بسيفين؛ يُزعزعُ الصفُوفَ ويَحْصدُ الرؤُوسَ، وهُزمتْ قُريشُ فى هذه المعركة هَزيمةً

مُنكرةً، قُتل فيها عَشراتٌ من سَادة قُريش، ووقعَ فى الأسْرِ كَثيرُ.

عَادتْ قُريش إلى مكةَ تُلملم نفسها وتَحْشدُ جَيْشها لتثأر لشرفها وقَتْلاها، وكَانت هِنْدُ بنتُ عُتْبةَ زَوجةُ أبى سُفيان قد فُجعتْ يومَ بدر بأربعة رجال، بابنها وأبيها، وبعمها وأخيها، فكانتْ لا تنامُ ولا تهدأ من الغَيْظ والحَسْرة، وأقْسمتْ أن تثأرَ من مُحْمد، ومن عَمِّه حَمزةُ، كان «وَحْشىٌ بن حَرْب» عَبْداً حَبشياً يُجيدُ رمى الحراب وإصابةَ الأهْداف، فجهزَّهُ سَيِّدهُ «جُبَيرُ بن مُطعم» للحرب وحَفَّزهُ على القتال قائلاً:

- إن أنْتَ قتلتَ حَمزةَ بن عبد المطلب فأنتَ حُرٌ!

وكان عَمْ جُبير قُتل يومُ بدرٍ بسيف حَمزة بن عبد المُطلب. وأحَالوهُ إلى هند زَوجة أبى سُفيان لتُحفزه أكثر على المُضى نَحو الغَاية. فقالتْ لوحشىٍّ:

إن أنْتَ قَتَلتَ حَمزةَ، وأتَيتنى بكبده فلكَ منى جَائزةً.

فَسألها وَحشىٌّ: وما الجائزةُ؟

قالت هندُ: لكَ قِرْطى وقِلادتى وهُما من اللؤلُوءِ الثَّمينِ والذَّهبِ الخالصِ.

ولَمعتْ عَينا وَحشىٌّ وهَاجتْ خواطرهُ. إن حُرِّيتهُ وغناهُ ثمنها رأسُ حَمزةُ بن عبد المطلب.. يا له من ثمنٍ!

والتقى الجَيْشان يَوم أُحُد. ودَارتْ معركةٌ طاحنةٌ، كان حَمزَةَ فيها يقاتلُ قتالاً عَنيفاً بسيفه، وكان وحْشىٌّ بنُ حَرْبٍ يترصدُ حمزةَ ليتمكنَ من ضَرْبه على غَفلَة.

وتَقدَّمَ سَبَّاعُ بن عَبْد العُزَّى ليُصارع حمزةَ عند صَخْرة، فضربهُ حَمزةُ بسيفه فقطَع رأسهَ، وكان وحشىٌّ مُختبئاً وراءَ جذْعِ شجرة. وعندما أقتربَ حمزُة من الشَّجرة رَفع وحشىٌّ حربتَهُ وسَددَها فى بطنه بقوة فَخرَّ حمزةُ شهيداً غارقاً فى دمائه.

وطارَ وحشىٌّ بن حَرب إلى هِند زَوجةُ أبى سُفيان فرحانَ يَحملُ حَربتهُ التى تَقْطُر دماً، ويُخبْرها بتمثيل حَمزة ويسألها الجَائزةَ.

فتصيحُ صَيْحةً مَذْعورةً: هَذا لا يُطفئ لَهيبَ قَلْبى، اذهب وائْتنى بكبده.

وعادَ وحشيٌّ مُسْرعاً ليُخرج كبد حمزةَ بن عبد المطلب، وتَلَقتْ هِنْدُ الكبدَ وهى تَمْضُغهُ بغيظٍ ولا تكادُ تُسيغُه، ثُمَّ لَفظَتْ القطعةَ من فَمها وراحتْ تَصرخُ:

- شُفَيْتُ نَفسى وقَضَيتُ نَذْرى أزَاحَ وحَشىٌّ غَليلَ صَدْرى.

وانتهتْ الحربُ وعاد المُشركونَ إلى مكةَ. ونزل النبىُ إلى أرضِ القتال بعد انتهاء المعركة، وراحَ يتفقَّدُ القَتلى والجَرحى ويتفحصَ وُجوهَ أصحابه الشَّهداء. وأمامَ جُثة عمه حَمزةُ وَقفَ النَّبى وَاجماً حَزيناً، وأسْبلَ جَفْنيه من هَوْلِ المشهدِ، ثم فتح عينيه وهو يُردِّدُ فى حُزْنٍ كَظيمٍ:

«لن أُصَابَ بمثلكَ أبداً يا أسَد الله ويا سَيّد الشُهداء، رحمةُ الله عليكَ يا عمٌ.. لقد كُنتَ وَصولاً للرَّحمِ فَعُولاً للخَيرات».

ثم التفتَ النَّبىُ إلى أصْحابه الذَّينَ أصَابَهمُ الحزُن وقال:

- والله لئن أظْفرنى اللهُ على قُريشٍ لأُمثلنَّ بثلاثين من رجالهم!

ولم يَبرح النبىٌ مكانَهُ حتى نَزلَ الوحىُ بآياتٍ كريمةَ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ

فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ .

قالَ النبيُ راضياً : بَل نصبرُ ياربَّ .

وجيءَ بجُثمان حَمزة إلى مكان الصَّلاة من أرَض المعركة ، وصَلَّى عليه النَّبيُ وأصحابُه ، ثمَّ جيءَ بشهيد آخرَ وصلَّى النَّبيُ وأصحابه عَليهما . . ثم رُفعَ الشَّهيدُ وتُركَ جثمان حَمزةَ ، وجيءَ بشهيد ثالث ووُضع بجوار حَمزةَ . . وصَلَّى عليهما النبي . . ثُمَّ جِيء بشهيد تلوَ شهيد حتى صلَّى النبيُّ على عَمه سَبعينَ صَلاة .

تمت بحمد الله تعالى

عبدُ الله بن مَسْعُودٍ

كَانَ النَّبىُ صلَّى الله عليه وسلم وصَاحِبهُ أبو بكرٍ الصِّديق يَسيرانِ فى الصَّحراء سَاعَةَ القَيْظِ عندما سَمِعا من بعيدٍ راعياً يَشْدُو بأبياتٍ من الشِّعرِ. الْتَفتَ النَّبى نَاحيةِ الصَّوتِ ثم قال لأبى بكر:

- لقدَ بلغَ بنا الجُوعُ والعَطشُ مَبْلغاً. . هَيَّا بنا نَذْهبُ إلى هَذا الرَّاعى لَعلَّنا نجدُ عنده شَيْئاً من الطَّعامِ أو الماءِ.

كان الفَتى الرَّاعى يَجْلسُ فى ظلِّ شَجرةٍ والشِّياهُ حَولهُ ساكنةً ونائمةً. اقْتربَ النبى وصَاحبهُ من الفتى وسألاهُ:

- هَلْ عندكَ من لَبنٍ تَسْقينا؟

قالَ الفَتى الرَّاعى: إننى مُؤْتمنٌ على هذه الشِّياهُ، ولستُ بصاحبها ولستُ سَاقيكُما.

قال النبىُ: لا بأسَ. . هل عِندكَ من شَاةٍ لم يَنْزُ عليها الفَحْلُ؟

قال الفتى: نَعم.

ذهبَ الفتى إلى القطيعِ ثمُ عادَ بشاة فأمسكَها النَّبى ومَسحَ الضَّرعَ بيده وهو يُردِّد دَعاءً، فامتلأَ الضَّرعُ باللبنِ.

وقامَ أبو بكرٍ يَبْحثُ عن إناء، فَلم يَجد إلا صَخْرةً مُتَقعرةً، فحلبَ النبىُ الشَّاةَ فى هذه الصَّخرةِ وشَربَ هو وصَاحبه. ثم قال النبى للضَّرعِ: إقْلعُنْ!

فعادَ الضَّرعُ إلى ما مكانَ عليه.

وانصرف النَّبى وصَاحبهُ بعد أن شكَرا الرَّاعى. وتركا الفتَى (عبدْ الله بن مسعود) فى حَيْرة وذُهُول، يُحدِّثُ نَفسهُ: ما هذا الذى رأيتُ.. إن الشَّاةَ لا عَهْدَ لها باللبنِ وبرغمِ ذلكَ يمتلئُ ضَرعها وتُدرُ لَبناً غَزيراً سائغاً.. هذا شَئٌ لا يُصدقه عَقْلُ.

وأفاقَ الفتى من شُروده، وتلفَّتَ حَولهُ بحثاً عن هذين الرَّجلين فلم يَجْد لهما أثَراً. وعَلم الفَتى عبُد الله بن مسعود بعد ذلكَ أن الرَّجلين هُما: مُحمدٌ النبى وصَاحبهُ أبو بكر الصديقِ.

كانَ عبدُالله بن مَسْعود رَاعياً للغَنمِ عند عُقْبةُ بن مَعيطَ وكان

يَقْضى نهارهُ فى الصَّحراء، وعندما جَاءَ المَساءُ ذهبَ إلى النبى وقال لهُ: عَلِّمنى من هذا القَول.

تَبسَّم النبى وقالَ: إنكَ غُلامٌ معلَّمٌ.

وأسلَم الفَتى الرَّاعى «عبد الله بن مسعود»، وكان النبىُ وقتها يدعو إلى الإسلام سِراً، وأصبحَ الفتىَ بعَدها مُلازماً للنبى، يَحفظُ القُرآنَ، ويتلو آياته بصوته النَّدى.

كان الصَّحابهُ يجلسونَ ذاتَ يومٍ يتلون آيات القرآن فقال أحدهُم: والله ما سَمعَ أشرافُ قُريشٍ هذا القرآن يُجْهرُ به، فمن منا يَذهبُ ليسُمعهم القرآنُ فى مَجلسهم عند الكَعبة.

قال عبدُ الله بن مَسْعود: أنا!

ضحكَ بعضهم وقالَ: إنَّا نَخْشاهُم عليكَ.. إنا نُريد رجلاً له عَشيرةٌ يمنعونُه من إيذاء القومِ.

فقال عبد الله: دَعُونى أذهبُ، فإن الله سيَمنعنى منهم.

كان عبد الله بن مسعود ناحلاً ضَامراً لكنَّه كان يملكُ إرادةً قَويةً

وشَجاعةً نَادرةً، فَغَدا إلى الكعبة فى الضُحى وقُريشٌ فى أنديتها وجلَس عند المَقامِ على مَقْربةٍ من زُعماء قريشٍ وراحَ يتلو القُرآنَ بصوتٍ عالٍ:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم .الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الإنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ⑤ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾.

تلفَّتَ القومْ وهمُ يتساءلونَ: من هذا الذى يَصيحُ عند المَقامِ؟

قال أحدهُم: إنهُ ابن أُمِ عَبد.. يتلو ما جاء به مُحمدٌ.

دُهش القومُ من جُرأةِ هذا الرَّاعى الصغير الذى يتحدَّاهُم وقاموا إليه يضربونَ وجههُ. وهو مُستمرٌ فى قراءته. والدَّمُ يسيلُ من فمه ووجهه، حتى أُغمى عليه. ولما أفاقَ عاد إلى أصحابه. فقالوا: هذا الذى خشيناهُ عليكَ!

فقال: ما كان أعداءُ الله أهَونُ علىَّ منهم ولئن شئتمُ لآتينهم غداً بمثلها.

فقالوا: حَسْبُك.. قد أسَمعتُهم ما يكرهُون.

هاجَر النبى إلى المدينة، وهَاجَر المُسلمون أيضاً، ووقعتْ غزوةُ بَدرٍ، ودار القتالُ بين المسلمينَ والمُشركينَ، وفى إحدى الصُفوف كان كان يقفُ فَتَيانِ حَديثا السِّنِ بيدِ كُلٍ منهما سَيفٌ ويتلفتان بحثاً عن شَيءٍ.

اقتربَ أحدهُما من عبد الرحمن بن عَوْفٍ وسأله هَامساً:

- يا عمُّ.. أين أبو جَهْلٍ؟

قالَ عبد الرحمن: يا ابن أخى ماذا تُريدُ منهُ؟

قال الفتى: عَلمتُ أنه يَسُبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوالله لو رأيتهُ لن أتركَهُ حتى يَموتُ الأعْجلُ منا.

واقتربَ الفتى الثانى من عبد الرحمن بن عَوْفٍ وسألهُ هامساً: يا عمُّ أين أبو جَهْلٍ؟ فقال لهّ مثل ما قالَ لصاحبِه.

وبعد فترةٍ من القتالِ رأى عبد الرحمن بن عوفٍ أبا جهلٍ يَصُولُ

فى الميدان. فقال للفتيين: انْظُرا.. هذا هو أبو جَهْلٍ الذى تسألانى عنه.

وانطلقَ الفتيانِ ناحيةَ أبى جَهْلٍ وضَرباهُ بسيفهما حتى وقعَ على الأرضِ غارقاً فى دمائه. ثم أسرعَ الفَتيان إلى النَّبى يقولان: قتلنا أبا جهلٍ. فسُرَّ النَّبىُ وسألهما: أيّكما قَتَلَه؟

قال كُلٌّ واحدٍ منها: أنا قتلتهُ.

قال النبى: هل مَسحتُما سَيْفكما؟

نظر النبىُ إلى السَّيفين فَوجَد عليهما دماءاً. فقال: كلاكما قَتْله.

ولما انتهت المعركةُ قال النبى لأصحابه: من يَنْظر ما صنعَ أبو جهل؟ فَعثَر عليه عبد اللهُ بن مسعود وبه آخرُ رمَقٍ من الحياة. فوضعَ عبدُ الله رجله على عُنقُه وجَذَبهُ من لحيته وهو يقولُ:

- أتذكرُ كم آذيتنى وضربتنى فى مكةَ؟ .. هَلْ أخزاكَ اللهُ يا عَدوُ الله؟!

قال أبو جَهل : وبمَ أخزانى؟ أخْبرنى لمن النَّصر اليوم؟

قال عبدُ الله : لله ورسوله .

ضَغطَ عبدُ الله على رَقبةَ أبى جَهْلٍ بقدمه .

فقال أبو جهل وهوَ يَئنُّ من الألمِ : لقد ارتقيتَ مُرتْقَى صَعباً يا رُوَيعْى الغَنَم ! !

وقَطعَ ابن مَسْعودٍ رأسَ أبو جهلٍ وربَطهُ فى حَبلٍ وأخذَ يَجُرهُ حتى وصَل إلى رسول الله . وقال : هذا رأسُ عدو الله أبى جهلٍ .

فقال النَّبىُ : اللهُ أكبرُ . . الحمدُ لله الذى صدَقَ وعَدهُ ونَصَر عَبدهُ .

كان النَّبىُ يجلسُ بين أصحابه ذات يومٍ فى ظلِّ نخلة ، وصَعَد عبد الله بن مسعود الشَجرة ليأتى منها بعودٍ من الأراكِ ، ورأى الصحابةُ ساقيه النحيلتين فضحكوا .

فقال النبىُ مُعاتباً : تضحكونَ من ساقى ابن مَسْعودً . . والله لهما أثْقلُ فى الميزان عند الله من جبل أُحُد !

كان النبى يحُبُ سَماع القرآنِ من عبد الله مسعود ، وكان

عبدُ الله فى صُحبة النبى يوماً، فقال له النبى : اقرأ علىَّ يا عبدَ الله .

قال عبدُ الله : أقرأ عليكَ . وعَليكَ أُنزلُ يا رسولَ الله؟

قال النبَّى : إنى أُحبُ ان أسمعه من غَيرى .

فأخَذَ ابنْ مَسْعُود يقرأُ من سُورة النِّساء، حتى وَصلَ إلى قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾

فقال النبى : حَسْبُكَ . حَسْبُكَ يا ابن مَسْعود .

التفتَ عبد الله إلى النَّبى فوجدَ عينيه قد فَاضتَا بالدِّموع .

وينتقلُ النَّبىُ إلى الرفيقِ الأعلى تاركاً حُزْناً كبيراً فى قَلْب عبد الله وفى قُلوبِ أصحابه، ويتولى الخلافةَ أبو بكر الصِّديق، ثُمَّ عُمر بن الخطاب، ويفتح المُسلمون بلادَ الشَّام، ويوليه عُمر على بيت المال بالكُوفة فكان لأهلها مُعلِّماً وناصِحاً، وكانَ خاشِعاً لله، زَاهِداً فى المَال فأحَبَّهُ النَّاسُ .

وكان دائماً يُردِّدُ، خَيرُ الغِنى غِنى النَّفسِ، وخَيرُ الزَّادِ التقوى .

ومَرضَ ابن مسعودٍ في العام الثاني والثلاثون من الهجرة، وكان يتُوقٍ شَوْقاً للقاء الله ولقاءِ رسولهِ.

وصَعدتْ روُحُه إلى خَالِقها، ودُفنِ بالبقيعِ.

تمت بحمد الله